

عبد الرحيم محمود وأثر شعره في قضية فلسطين

الدكتور الحافظ عبد الرحيم (١)

Abstract:

The subject of the resistance poetry on Palestine is very important subject in the Arabic poetry. Many Arabic poets have discussed this subject in their prose. Some of them have gained international reputation in this connection. Among these patriotic and nation lover poets, is Abdul-Rahim Mahmood, who has inspired from the courage of the Palestinians, especially the boldness of their Martyrs, who are sacrificing for their nation. The article comprises upon the biography of the poet and the examples the poetry alongwith the narration of the situation of Palestine.

هل هنالك فلسطيني لا يتذكر شاعرا كانت فلسطين داره وناره .. همه وأمله وفد-
طموحه . حملها بين ضلوعه وأنشدها شعرا من القلب إلى القلب ، فضحى بروحه حتى سقط
على أرضها شهيدا يغيظ العدى .

عبد الرحيم محمود هو شاعر فلسطيني، من مواليد قرية عنتاب التابعة لقضاء طولكرم عام
١٩١٣م. استشهد عام ١٩٤٨م . ولقب بالشاعر الفلسطيني الشهيد .

استاذ مشارك بجامعة بهاء الدين زكريا/ قسم اللغة العربية وآدابها ملتان- باكستان

وكأن بصوت نساء عنبتا يطلقن الزغاريد عالياً ، وبغضب رجال فلسطين
الأحرار .. ترتفع سواعدهم تلوح براية المقاومة وتنطلق المسيرات من الناصرة ونابلس
وطولكرم ومن كل أرض ونفس عرفته ، تردد شعره وتنادي بالثأر لاستشهاد شاعر ملهم
هو عبد الرحيم محمود أبو الطيب الذي عاش . يسر الصديق ويغيب الأعداء كما كتب في
قصيدته . وحتى تبقى ذكراه بيننا نتطرق إليه في بعض من ملامح شخصيته وفي مداخل
قصائده وفي صلب هويته الوطنية الصادقة .. كل ذلك ولعلنا نعمد الحاضر بذكرى
عطره لمن سبقونا في الشهادة ولمن جسدت حياتهم تاريخنا الذي نعتز ونفخر جيلاً بعد
جيل . (١)

أما صليتي بموضوع هذا المقال فحينما كنت أكتب عن الشعر العربي في العصر
الحديث، ذات يوم قرأت قصيدة الشاعر عبد الرحيم عنوانها " الشهيد " فيها:

سأحمل روحي على راحتي	وألقي بها في مهاوي الردى
فإما حياة تسر الصديق	وإما ممات يغيب العدا
ونفس الشريف لها غايتان	ورود المنايا ونيل المني (٢)

وقعت القصيدة في نفسي موقعاً حسناً، واحتل صاحبها في ذاكرتي مكاناً، فبدأت
الطريق، لأتعرّف إلى شخصية هذا الشاعر و إلى ظروف حياته واستشهاداته وشاعريته،
فظفرت بقليل من شعره... إلا أن هاجساً ظل يرافقني، ويحركني لمعرفة الحقيقة،
والوقوف على المزيد من شعر هذا الشاعر.

فزادني ذلك رغبة وحبا في الإقبال عليه. فاخترت هذا المقال نظراً لأهمية الدور الذي لعبه
الشعراء الفلسطينيون في مواجهة الانتداب البريطاني والهجمة الصهيونية لتوعية الجماهير
وتحريضها على النضال، كما أقدر الدور الطبيعي المتفرد الذي أداه شاعرنا الشهيد،

حين لحم شعره بنضاله، وآلف بين فنه وكفاحه، وحقق الشهادة التي يطمح إليها الأبطال وهم يعبرون برزخ الحياة إلى الدار الآخرة، ليحققوا حلمهم الجميل في عالم الخلود.

حياته:

ولد الشاعر في العام ١٩١٣ في بلدة عنبتا من أسرة متوسطة الحال عزيزة النفس مطبوعة على الشهامة والنبيل كمعظم أسرنا الفلاحة الفلسطينية. ودرس في مدارسها الابتدائية ثم انتقل إلى طولكرم للدراسة الإعدادية بمدينة نابلس للدراسة الثانوية، حيث درس في مدرسة النجاح فيها وتعلم على يد الشاعر إبراهيم طوقان وتأثر به كما تشرب حب المعرفة والاعتزاز بالنفس والوطن والثورة على الظلم مقتدياً بذلك بنهج كل الثائرين ومتعلماً من أساتذته أمثال د. محمد فروخ وأنيس الخولي وقدري طوقان. وكان شغفاً بحب وطنه فلسطين مستشعراً حاجتها إليه وإلى الشباب من جيله، حيث كانت فلسطين تمر باخطر منعطفاتها التاريخية من الانتداب إلى ترسيخ الوجود الاحتلال الإسرائيلي. وترتّب على الثورة والمقاومة من خلال زعاماتها الوطنيين الذين كانوا يجوبون القرى والبلدات الفلسطينية شاهرين اسلحتهم في وجه عصابات البوليس البريطاني المستعمر، مشدوداً إلى أصوات المقاتلين التي دعت الشباب الفلسطيني إلى المقاومة والتحدي والتصدي للغازين اليهود الذين أتوا عبر البحر ليستوطنوا في فلسطين ويمعنوا في تدمير البلاد وقتل العباد. وعبد الرحيم محمود تمسك بخيار المقاومة موقناً بالنصر رغم هزيمة الفلسطينيين.

التحق عبد الرحيم محمود بمدرسة البوليس الفلسطيني لمدة عام واحد، ثم استقال من الخدمة رافضاً أن يكون تحت إمرة مدير البوليس البريطاني آن ذاك. ثم عاد إلى نابلس ١٩٣٣ ليلتحق بمهنة التدريس في مدرسة النجاح وظل أستاذاً للغة العربية وآدابها لمدة سنوات تقريبا، حتى لى نداء الثورة الفلسطينية التي عرف رجالها وآمن بخطها الداعي للنضال بكافة السبل حتى تحقيق الحرية والاستقلال. لما لا وقد غمى في

قلبه حروح الفداء مذ كان يافعاً تحت قيادة المجاهد الكبير عبد الرحيم الحاج محمد، رحمه الله، واعتبرته سلطات الانتداب البريطاني محرّضاً عليها ومطلوباً لها، فتعقبته وللقبض عليه. وظل يحشد المهم لقتال الإنجليز والتمرد عليهم برصاصه نارة وبشعره الملتهب حماسه نارة أخرى. ومن مدن فلسطين فر إلى دمشق ثم إلى بغداد وهناك دخل الكلية العسكرية وتخرج برتبة ملازم ثان سنة ١٩٤٠. وهناك تعرف على المجاهد الشهيد عبد القادر الحسيني، بطل معركة القسطل، وعلى القائد الشيوعي فؤاد نصار وتأثر برؤيته للفكر الاجتماعي اليساري فوقت إلى جانب العمال والفقراء ودعاهم إلى تقدم الصفوف في معركة التحرر والاستقلال وعدم ترك الساحة للقيادة العربية الغير مبالية والواهنة وأن يكونوا على قدر المسؤولية الوطنية في حماية مقدسات فلسطين وفي طرد اليهود منها. (٣)

وفي العراق حيث عاش شبابه حمل فلسطين معه وواضعا نفسه جندياً للدفاع عن الوطن العربي حيث شارك العراقيين نضالهم فبعد أن عمل مدرساً كي يحصل مصدر رزق ولاسرته لمدة عام تقريباً ترك التدريس والتحق بثورة العشرين وحين فشلت فر إلى نابلس وعمل مدرسا في كلية النجاح عام ١٩٤١-١٩٤٧ وكانت هذه السنوات حتى استشهاده من اخصب سني حياته عطاء؛ نضج فيه الشعر وقويت فيها عزيمته نحو المقاومة، و تزوج من ابنة خاله وأنجب منها القائد الفلسطيني الطيب، مستشار الرئيس محمود عباس حالياً، وطلال ورقية.

ومرة أخرى ضحّى الشاعر الفلسطيني الملتزم بالمقاومة سبيلاً لتحرير فلسطين من مغتصبيها بعمله وانضم الى جيش الانقاذ العربي في بيروت التي انتقل اليها وإلى سوريا وتدرّب على فنون القتال وانضم إلى جيش الإنقاذ من هناك ليدخل فلسطين بعد قرار التقسيم ١٩٤٧ في العام ١٩٤٨. وكانت أول محطات عودته مقاتلاً قريته بلعا واشترك في معركة بيار عدس مع سرية من فوج حطين، وشارك في معارك رأس العين وابدى جسارة وتحمسا للقتال واستبسل في كل تحركاته ومناوشاته فعين آمراً للانضباط في طولكرم ثم مساعد لآمر فوج في الناصرة. وفي الناصرة خاض معارك البسالة

والصمود رغم عدم تكافؤ الجيوش المحتلة مع فرق الجيش العربي والمناضلين الفلسطينيين عدة وعتاداً وعدداً وكان أن ارتقى إلى العلى شهيدا في معركة الشجرة (وهي قرية عربية بالقرب من طبريا) صباح يوم ١٣/٧/١٩٩٨ ، ودفن في مدينة الناصرة التي أحبها وأحبته . وأقامت سلطات الاحتلال مستعمرة (الشجرة) بجوار قرية الشجرة . فارق الدنيا في ريعان شبابه تاركا بصماته الإنسانية و أشعاره الحماسية الصادقة ودمه الطاهر علامة تحدي وعطاء لا ينضب .

قصائده:

قصائده هي سلاح ملهم ومحفز في المدارس والمنتديات ، في الشوارع والمظاهرات وفي المعتقلات وزنازين الاحتلال .. فكان شاعرا مقاتلا يحمل روحه على راحته ومات شهيدا .. وشاعر فارس في مضمون شعره وفي رؤيته للحياة القائمة على أن التغيير نحو الأفضل على مستوى المجتمع ، منوط بذلك الربط العضوي الذي لا يفصل بين الكلمة والفعل .

رجل ربط القول بالعمل فلم يكن من هؤلاء الشعراء الذين يتبعهم الغاؤون لكنه أثبت للجميع أنه الصادق الذي جعل من حياته القصيرة رمزا وطنياً وثائرا اجتماعيا ويبرز ذلك في مواقفه وفي أشعاره حين قال :

يا أيها الشعب العظيم أجدت للمجد الطلاب
من عاش ما بين الوحوش يكن له ظفر وناب

وكذلك :

أتينا الحياة فلي نصيب كما لك أنت في الدنيا نصيب
فلم تعلو وتغصبي حقوقي وتطلب أن يسالمك
الغصيب

من روائع شعره :

واغصب حقوقك في الحياة قط لا تستجديها
إن الألى سلبوا الحقوق لثام
هذي طريقتك في الحياة فلا تحد
قد سارها من قبلك القسام

لقد كان الشاعر الكبير انساناً ملهما صادقاً قرن القول بالفعل في معظم مفاصل حياته وتفصيلها . وهو الذي عرف بنفسه فقال :

نحن لم نحمل المشاعل للحريق ولكن للهدى والتنوير
نحن لم نحمل السيوف للهدر بل لأحقاق ضائع مهذور
اميّ إن تجر عليك الزعامات فلا تيأسي ذريها وسيري
رتلي سورة السلام على الأرض وغني أنشودة التحرير

ويعتبر الشاعر عبد الرحيم محمود من الشعراء المؤثرين الذين لم يكتبوا لعشرات السنين إلا أن لشعرهم أثر ظل حيا في النفوس وفي الثقافة العربية .
وتدور قصائده حول القرآن الكريم ، والمولد النبوي ، والهجرة المشرفة ،
والشهادة ، والنضال ،

يقول عبد الرحيم محمود في قصيدة " القرآن الكريم " :

وأهدى الأنام لأهدى أمم	كتاب أضاء دياجي الظلم
فصار الرعاة رعاة الأمم	وكان الرعاة رعاة الشياه
فجل العظيم وجل الكلم	كلام العظيم عظيم الكلام

كلمات لا تخرج إلا من قلب وعي القرآن ، وتفاعل مع كل حرف من حروفه ،
فجل العظيم وجل الكلم ..

يقول عبد الرحيم محمود في قصيدة " الهجرة " :

لم تكن هجرة طه فرّه
كانقباض الليث ينوي وثبه
إثما كانت على التحقيق كره
وانقباض الليث في الوثبة سورة
ويذيب القيد إلا نار ثوره
لا يصون الحد إلا جده

...

ليس يحمي الحق إلا فتكه
ويعيد الحق فينا غير قسره

هذا ما أرساه البنا والقسام وياسين في قلب هذه الأمة بقيناً راسخاً ، وكتبه
بالدم الطاهر على جبين الأمة .. وهذا سر النهضة والصحو ، وسبيل العزة والنصر ..
فمعظم قصائده كتبها بين الأعوام ١٩٣٥ و ١٩٤٨ بين فلسطين والعراق
والشام .

جمعت هذه القصائد لجنة من الأدباء بعد وفاته بعشر سنوات، وكان قد نشر
بعضها في المجلات الفلسطينية واللبنانية والسورية والمصرية. وصدر ديوانه في حَمَّان عام
١٩٥٨م وهو يضم سبعة وعشرين قصيدة. هي أهم ما كتبه في عمره القصير المليء
بالكفاح.

وديوانه الذي أصدره اتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين عن دار العودة في
بيروت سنة ١٩٧٤م، كان الدكتور كامل السوافيري قد جمع قصائده وقدم لها، وزاد
بعض القصائد على ما ورد في ديوانه سنة ١٩٥٨م.

آرائه الوطنية

ولجد آرائه الوطنية التي صاغها شعراً وعاشها حياة، فاستحق أن يكون مثلاً
أعلى لشباب فلسطين في الكفاح والصدق ..

في ١٤ أغسطس ١٩٣٥م زار قرية عينتا الأمير سعود ولي عهد المملكة العربية
السعودية (الملك سعود فيما بعد)، فألقى عبد الرحيم بين يديه قصيدة وكان عمره اثنين
وعشرين عاماً قال فيها:

يا ذا الأمير أمام عَيْنِكَ شاعر ضُمَّتْ على الشَّكوى المريعة أضْلَعُ

المسجد الأقصى أحيّت تَروُرُهُ؟
 أم جئت من قِبَلِ الضِّبَّاعِ تُودِعُهُ؟
 حَرَمٌ مُبَاحٌ لِكُلِّ أَوْكَعَ آبِي
 وَلِكُلِّ أَفَاقٍ شَرِيدٍ، أَرِثُهُ
 وَغَدًا وَمَا أَدْنَاهُ، لَا يَبْقَى سِوَى
 دَمْعٍ لَنَا يَهْمِي وَسِنٍّ نَقْرَعُهُ

وهنا يتضح بُعدُ نظر الشاعر الشاب ورؤيته الواقعية للظروف العربية شعوبًا وحكامًا.
 وفي قصيدته (الشهيد) وكان عمره حوالي أربعة وعشرين عامًا يُصوِّرُ الشهيد كما
 يتمناه:

سأحمل روعي .على راحتي	وألقي بها في مهاوي الردى
فإما حياةٌ تسر الصديق	وإما ممات يغيط العدا
ونفس الشريف لها غسائتان	ورود المنايا ونيلُ المنى
لعمرك إنني أرى مصرعي	ولكن أغدُ إليه الخطى
أرى مقتلي دون حقي السليب	ودون بلادي هو المُبتغى
يَلْدُ لأذني سماع الصليل	يُهَيِّجُ نَفْسِي مَسِيلُ الدِّمَا
وجسمٌ تَجَدَّلَ فوق الهضاب	تُناوِشُهُ جَارِحَاتُ الفَلا
فمنه نصيبٌ لأُسْدِ السَّما	ومنه نصيب لأُسْدِ الشَّرَى
كسا دمه الأرضَ بالأرجوان	وأنقل بالعطر رِيحَ الصَّبَا
وعَفَرَ منه بهيَّ الجبين	ولكن عُفَارًا يزيد البَها
بأن على شَفَتَيْهِ ابتسام	معانِيهِ هُزْءٌ بهذي الدُّنا
ونام ليَحْلُمَ حُلُمَ الخُلودِ	يَهْنَأُ فِيهِ بِأَحْلَى الرُّؤى
لَعَمْرُكَ هذا ممات الرجال	ن رَامَ مَوْتًا شَرِيفًا فَذَا(٤)

وقد اختار الشاعر قافية المدِّ أيًّا كان الحرف الأخير لهذه القصيدة الرائعة التي تصور ممات الرجال الشرفاء من أجل الوطن، فالتلذذ بأصوات المدافع والبهجة بإسالة الدماء تُهَوِّن على الشرفاء الموت من أجل قضية كبرى يُدافع عنها ألا وهي تحرير البلاد والاحتفاظ بكرامتها..

وفي قصيدته (دعوة إلى الجهاد) يقول مستهترًا بالموت فداء للوطن:

دعا الوطن الذبيح إلى الجهاد	فَخَفَّ لِفَرْطِ فَرْحَتِهِ فُوَادِي
وَسَابَقْتُ النَّسِيمَ وَلَا افْتَحَارُ	أَلَيْسَ عَلَيَّ أَنْ أَفْدِيَ بِلَادِي
حَمَلْتُ عَلَى يَدَيَّ رُوحِي وَقَلْبِي	وَمَا حَمَلْتُهَا إِلَّا عِتَادِي
فَسِيرُوا لِلنِّضَالِ الْحَقِّ نَارًا	تَصُبُّ عَلَى الْعَدَا فِي كُلِّ وَادٍ
فَلَيْسَ أَحَطُّ مِنْ شَعْبٍ قَعِيدٍ	عَنِ الْجَلَى وَمَوْطَنِهِ يَنَادِي (٥)

وتظل قصائد عبد الرحيم محمود تتوالى مُعْبِرَةً عن حبه لوطنه وإصراره على التضحية من أجله..

ثم الاسترجاع من يد العدو.

يقول الشاعر عبد الرحيم محمود في قصيدة "حنين إلى الوطن" التي كتبها وهو يجاهد في العراق:

تلك أوطاني وهذا رَسْمُهَا	فِي سُوَيْدَاءِ فُوَادِي مُحْتَفَرٍ
يتراءى لي على بَهْجَتِهَا	حَيْثَمَا قَلْبٌ فِي الْكَوْنِ النَّظَرُ
فِي ضِيَاءِ الشَّمْسِ فِي نَوْرِ الْقَمَرِ	فِي النَّسِيمِ الْعَذْبِ فِي ثَغْرِ الزَّهْرِ

.....

يا بلادي أُرَشِّفُنِي قَطْرَةً	كُلُّ مَاءٍ غَيْرِ مَا فِيكَ كَدَرٌ
لَيْتَ مِنْ ذَاكَ الثَّرَى لِي حَفْنَةٌ	أَتَمَلَّى مِنْ شَذَى الثَّرْبِ الْعَطَرِ

لا يرى الشاعر غير محبوبته الأثيرة ، يحب ماءها وشمسها وقمرها وظلها وزهرها ..

ولا يرى غيرها ، فهو قيس فلسطين الذي قتله هواها ، فتقبله الله في الشهداء ، وجعل كل كلمة في ميزانه يوم القيامة ..

وللشعر الفلسطيني درب طويل ، سار فيه الكثير من الكبار ، منهم : إبراهيم طوقان ، عبد الكريم الكرمي (أبو سلمى) ، عبد الرحيم محمود (أبو الطيب) ، هارون هاشم رشيد ، معين بسيسو ، فدوى طوقان ، إبراهيم المقادمة ، عبد العزيز الرنتيسي ، رامي سعد ، ... كلهم أبناء مدرسة واحدة هي مدرسة " احرص على الموت توهب لك الحياة " ، يقول عبد الرحيم محمود :

هذي طريقك للحياة فلا تحدد قد سارها من قبلك القسام

نعم كل شعراء فلسطين أبناء إبراهيم طوقان وعبد الكريم الكرمي (أبي سلمى) وعبد الرحيم محمود ، وما هؤلاء الثلاثة إلا أتباع بن راحة ، وما ابن راحة إلا نبتة طيبة في أرض الإسلام الطاهرة ، يقول عبد اللطيف عقل : " الشهادة نوع من الإرث ، يتوارثه الآباء عن الأجداد ، والأبناء عن الآباء ، إلى أن تتحرر الأرض " .

وعبد الرحيم محمود هو أول شاعر شهيد — فيما أعلم — بعد إعلان دولة إسرائيل المشؤومة ، ومن أصغر شهداء فلسطين الشعراء ، وله أشهر أبيات كتبت في النضال ..

وقد ذكر الأستاذ أنطوان شلحت الأديب النصراوي أن الجهد الأوفى الذي تحقّق في جمع أعمال الشاعر المناضل أبو الطيب هو الذي أنجزه الشاعر الفلسطيني عز الدين المناصرة جمعا وتحقيقا والمعنون بـ " الأعمال الكاملة — عبد الرحيم محمود ، الديوان والمقالات النقدية " الصادر عن دار الكرمل للنشر والتوزيع ١٩٩٣ ، الطبعة الثانية — عمان - الأردن . فيما صدر من قبل ديوان للشاعر عبد الرحيم محمود بعنوان (روحي على راحتي) وكان مجموع عدد أبياتها (١٩٧٨) بيتا شعريا ، وتنتشر فيها الأول مرة تسع وعشرون قصيدة .

ويعتبر ديوان " روجي على راحتي " الذي صدر في العام ١٩٨٥ عن منشورات مركز إحياء التراث العربي ، امتازت بجمع كل ما نشر في الصحف والمجلات عن الشاعر عبد الرحيم محمود . ومنحت الشاعر مزيدا من الخصوصية في المقاومة التي استثمرت منذ البداية خطر المقاومة التي تحاك ضد فلسطين . وتوجتها بيتين من الشعر اصبحا نارا على علم :

سأحمل روجي على راحتي وألقي بها في مهاوي
الردى

فإما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العدى
وقد استطاع الشاعر الصادق الملهم أن يناضل في سبيل تحرير وطنه بعزة وكرامة وأن يموت شهيدا يغيظ العدى ؛ لما لا وهذه القصائد الملتزمة حماسة وانتماءا تتوارثها الاجيال على مدى الوطن العربي والإسلامي ودول غيرها ايدت الشعب الفلسطيني في كفاحه ضد محتلية وناصرت قضيته .
كما كان الإصدار الأول للمؤسسة توفيق زباد للثقافة الوطنية والإبداع ومقرها الناصرة هو عن (عبد الرحيم محمود شاعرا ومقاتلا _ في الذكرى الخمسين لاستشهاده في معركة الشجرة بتاريخ ١٣/٧/١٩٤٨) باكورة أعمال المؤسسة الأدبية . ويعتبر الكتاب ملخصا ومعبرا عن روح الشاعر و ذاته العظيمة مقاتلا وشاعرا .
شاعر المقاومة:

نرى شخصيته الوطنية جسدت المقاومة في إطار الوحدة الوطنية وقد اعتبر الشهيد عبد الرحيم شاعر المقاومة الصادق الأمين الذي سار بدمه وقلبه وثورته منشبا بالهوية الوطنية بغض النظر عن اللذين رفعوا ألوية المقاومة وساروا معه أو أمامه أو خلفه . وهو الذي قال بمناسبة عيد الجامعة العربية :

حلم لايت عليه نفوسنا اجمل بأن تتحقق الاحلام
جمع التشبث لكل قطر ذرة في تاجه والوحدة النظام

فكان بفكره الاشتراكي والقسامي الثوري يطمح إلى التأكيد على ان المقاومة بكل اشكالها الاجتماعية والثقافية وبالسلح الموجه الى العدو المحتل واعوانه وهو بذلك لا يخشى لومة لائم حين يوصي كل رفاقه المناضلين وابناء شعبه من عمال وفلاحين بالمقامة على طريقة الشهيد الشيخ الجليل عز الدين القسام (٦) وقد قال :

ما حك مثل ظفرك يا فتى يا حر لا تتصبك الاوهام

المواقف الثورية في شعره

نجد المواقف الثورية في شعره كالتالي:-

- ١- التحريض على النضال
- ٢- مواقف ملتزمة (الرفض، الغضب، الأرض)
- ٣- الغربة و الحنين.
- ٤- الرؤية المستقبلية والحس النقدي.
- ٥- الرغبة في الشهادة.

كما نجد في شعره الإطار الاجتماعي والإنساني والتأملي والإطار الوجداني، وكيف كرس الشاعر عبد الرحيم جانباً من شعره للحديث عن الفقراء والعمال ؟

التشكيل الفني:

أما جانب التشكيل الفني، فيتناول اللغة والتكرار والنمط الشعبي في التعبير والصراحة والرمز ثم ملامح من القرآن الكريم والشعر العربي عنده، والصورة الفنية ... وبناء القصيدة في شعره.

مثرلة الشاعر:

يلاحظ موقع عبد الرحيم محمود بين شعراء ثورة ١٩٣٦ م ، هم الذين شعراء الأرض المحتلة امتداد لشعراء الجيل الأول ومكانته بين أدباء عصره.

في عام ١٩٣٥م حضر من سوريا الشيخ عز الدين القسام؛ ليشترك في الكفاح ضد الاحتلال الإنجليزي لفلسطين وعمره أربعة وستون عامًا، واعتصم بالجبل مع رفاقه من مصر وفلسطين، وظلوا يناوشون جنود الإنجليز حتى استشهد الشيخ السوري يوم ٢٠ نوفمبر ١٩٣٥م.. فأصبح الشيخ عز الدين القسام مثلاً أعلى للمقاومة وإرهاصاً للثورة التي بدأت بإضراب يوم ٢٠ أبريل ١٩٣٦م، فانخرط فيها الشاعر الشاب عبد الرحيم محمود وندر نفسه للوطن، فاستقال من مدرسة النجاح وعبر عن موقعه في إحدى قصائده قائلاً:

وَاعْصِبْ حُقُوقَكَ قَطُّ لَا تَسْتَجِدْهَا	إِنْ أَلَى سَلَبُوا الْحَقَّ لَنَامُ
هَذَا طَرِيقُكَ فِي الْحَيَاةِ فَلَا تَحِذْ	قَدْ سَارَهَا مِنْ قَبْلِكَ الْقَسَامُ

ولما خمدت الثورة عام ١٩٣٩م لم يحتمل البقاء في فلسطين تحت نير الاحتلال الإنجليزي والعصابات الصهيونية؛ فهاجر إلى العراق وظل بها ثلاث سنوات عمل خلالها مدرساً للغة العربية، والتحق بالكلية الحربية ببغداد، وتخرج ضابطاً برتبة الملازم أيام الملك غازي بن فيصل بن الحسين، وشارك مع المجاهدين العرب في ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق.

ولما هدأت الأوضاع في فلسطين لانشغال إنجلترا بالحرب العالمية الثانية عاد عبد الرحيم إلى بلده واستأنف العمل معلماً بمدرسة النجاح الوطنية بنابلس. وبصدور قرار تقسيم فلسطين اشتعل الموقف؛ فقرر شاعرنا أن يصل إلى آخر مدى من أجل تحرير وطنه، فتوجه إلى بيروت في يناير ١٩٤٨م، ثم إلى الشام ليتلقى تدريبات عسكرية على القتال وانضم إلى جيش الإنقاذ، ودخل إلى منطقة بلعا بفلسطين واشترك في معركة بيار عدس مع سرية من فوج حطين، وشارك في معركة رأس العين، وفي إبريل ١٩٤٨م عُيِّنَ آمراً للانضباط في طولكرم، ثم مساعداً لأمر الفوج في الناصرة.. وأخيراً قاتل ببسالة في معركة الشجرة حتى استشهد فيها يوم ١٣ يوليو ١٩٤٨م وعمره خمسة وثلاثون عامًا.

و(الشجرة) قرية عربية تابعة لطبرية، وقد انشأ الإسرائيليون بحوارها مستعمرة اسمها (السجرة) بالسين، وكانت منطقة ساخنة تدور فيها معارك كثيرة بين سكان الشجرة المسلمين والمسيحيين وبين اليهود بالسجرة. ودُفِنَ عبد الرحيم محمود في الناصرة مُخَلِّفًا زوجته وابنيه (الطيب) و(طلال) وابنته (رقية)، وأعمارهم بين الأربعة أعوام والعام الواحد.

خلاصة القول إن الشاعر عبدالرحيم يعبر في قصيدته (الشهيد) بوضوح عن حبه للشهادة و فرحه بدخول ساحة الجهاد، فذلك أمر واجب، وإذا كان الشاعر قد دخل ساحة القتال فإنه يتوجه بالخطاب إلى العرب قبل أن تضع فلسطين: إذا ضاعت فلسطين، وفيكم واحد حي، فأني أعتقد أنكم قد ذلتم واستكنتم للعدو، وأعطاهم طريق الحق والصواب.

نعتاماً أحمد الله سبحانه وتعالى الذي هباً لي فرصة البحث، وأرجو من الله أن يجعل في هذا العمل نفعاً تاماً.

الهوامش و المصادر

- ١- محمود الشلي : عبد الرحيم محمود شاعرا ومناضلا اريد/الأول من شباط ١٩٧٨ م.
- (www.mshalabi.netfirms.com/abd.htm-dieseseiteubersetzen) (من ويكيديا، الموسوعة الحرة)
- ٢- وليد سعيد جرار و آخرون، شاعران من جبل النار (ابراهيم طوقا و عبد الرحيم محمود) شركة الشرق الأوسط للطباعة ص ٢٣١-٢٤١.
- ٣- شاعران من جبل النار ص ٢٣١-٢٣٣، محمود الشلي : عبد الرحيم محمود شاعرا ومناضلا ص
- ٤- شاعران من جبل النار ص ٢٣١-٢٤١.
- ٥- المصدر نفسه.
- ٦- الشاعر عبد الرحيم محمود يتمسك بخيار المقاومة بقلم: سناء بدوي-تاريخ النشر : ٢٠٠٦-١٢-٠٦ القراءة : ٢٢٦٨ في الذكرى الثامنة والخمسين لاستشهاده في ١٣/٧/١٩٤٨ في معركة الشجرة مركز آراء للدراسات و البحوث-